مقالات فى كلمـــات

[إلى الأستاذ سيد قطب]

للأستاذ على الطنطاوى

ذكرتنى غضبتك للشعر والبيان فى « الرسالة » ٦٧٤ بأن فى مكتبتى دواوين (شعرية ...) هى أولى إذا اطلعت عليها أن تكتب عنها ، ففتشت عنها حتى وجدتها فاذا هى ثلاثة دواوين متشابهات فى الحجم والقطع ، وفى الوضع والطبع ، كأنها قد صدرت عن ناشر واحد مع أن كلا منها قد ظهر فى بلد — وكلاً من أصحابها يدين بدين من الأديان الثلاثة .

أولها : ديوان (الصيدح) لخليل جرجس خليل ، طبع فى مطبعة جرجس حنين بالمنيا فى مصر سنة ١٩٣٩ ، وهو جيد الورق أنيق الطبع فى مائة صفحة وقد أهـــداه (الشاعر) لروح الرافعى ! !

والثانى : ديوان (حنين النـديم) لعبد الله نديم مويال بكالوريوس علوم وهو من فلسطين ، طبع فى مطبعة صادر فى بيروت سنة ١٩٣٦ على ورق صقيل مشكول الشكل الكامل ، وهذا الشكل وحده أعجوبة الأعاجيب ، وهو فى مائة صفحة ، وقد أهداه لوالده (المرحوم الدكتور شمعون بك مويال كلى الاحترام) ، وهذا هو نص الاهداء :

لذكرى والدى أهدى شعاراً ... لصدق الوحى فى رفق الشعور
إليك الاحترامُ المجنّ ودّاً ... حليف اللانهايات البحـور
ولىّ الفـكر والبدا وحسٌ ... لطيف خالد إهـدا السطور

والثالث : ديوان (القلوب المتقاطعة) لحسن محمود الحلبى ، طبع فى مطبعة الاستقلال العربى فى دمشق ١٩٣٨ وهو فى مائة صفحة (أيضاً) وفى أوله صورة الشاعر فى وضع سينمائى ...

رمتنى الليالى فى القبور ذليلا ... وسار شبابى فى الحياة ذبولا
خلقت من الأحزان شخصاً مهدداً ... وبين جموع النـاس دمت هزيلا
فليت أقول الشعر دون تلوّع ... يسود فيبدو الشعر حزناطويلا
ولكن أرى فى مقلتى دمع ناحب ... يسيل فيعطى الشعر لونا جميلا

وإذا زلت يا سيدى بهذا الأسلوب دركة أخرى ، وجعلت الموضوع كله فى وصف بنات (المحل العمومى) وما يكون منهن وصفاً سافراً مفصلاً ، جاء معك ديوان (قالت لى السمراء) لـ (نزار قبانى) الذى صدر فى دمشق منذ سنتين ، وإذا زدت لغة هـذا الديوان لغة على لغتها ، وأسلوبه عمى على عماه ، وموضوعه فجوراً على فجوره ، جاء معك كتاب (فى قصور دمشق) الذى أصدره فى دمشق من نحو عشر سنين ، موظف صغير فى دائرة الصحة عاش يدعى (محمد النجار) .

هذا كله عندنا فماذا نقول نحن يا أستاذ ؟ !

النثر والشعر فى المدارس :

كنت كلما درّست الأدب العربى أعجب لما أجد من انصراف الطلاب عن نثره إلى شعره ، على حين أنهم أميل إلى النثر فى الأدب الفرنسى منهم إلى الشعر ، ففكرت فرأيت أن السبب فى ذلك المناهج .

والذى تقرر المناهج تدريسه من النثر العربى فى مصر والشام والعراق لا يخرج فى جملته عن رسائل ميّتة لا روح فيها ، أو فقرات جامدة مسجّعة أو غير مسجّعة ليس فيها وصف يهز القلب ، أو معنى يوقظ الفكر ، حتى إن ما يختار لمثل الجاحظ

وقال غيرهم : بل هو مأخوذ من الكراسة ، لأن الإنسان يجلس إذا أراد الكتابة فيها .

وطال التصحيف والجناس على هذا القياس فلم يبلغ أحد منهم فى هزله مبلغ الجادين فى رد العقل إلى عين القلب أو إلى كلمة قديمة فى لغة اللاتين .

فحذار حذار من مراجعة الأصول بغير أصول ، وخير لنا أن نقنع بالفروع إذا كان الرجوع إلى الأصل ينقطع بنا فى هذه المتاهة بغير دليل .

ونحن فى أمان حين نقنع الآن بالرجوع من الصاد إلى السين فى اسم القواس . فلم يبق لهذه الوظيفة ما يخاف فى اسم ولا فى مسمى بحمد الله .

عباس محمود العقاد

وهو فى رأيى أحد الخمسة الذين انتهت إليهم إمامة النثر العربى (الجاحظ وأبى حيان التوحيدى والغزالى وابن خلدون ومحيى الدين بن عربى) هو من الملّ المضجر كوصف الكتاب وصفاً هو مجموعة جمل مستقلة تشبه حِكَم أكثم بن صيفى ليس بينها ارتباط، ولا يفسدها التقديم فيها ولا التأخير، ويصعب استظهارها وحفظها، مع أن للجاحظ المعجب المطرب، والمبهج المرقص من القصص والأوصاف، فكان من ذلك أن رغب الطلاب عن أدبنا وكرهوه، وآثروا عليه الأدب الفرنسى، لأنهم وجدوه أقرب إلى قلوبهم، وأدنى إلى أفكارهم.

ودواء هذا الداء أن يخرج واضعو المناهج من هذه الزاوية التى حبسوا أنفسهم والطلاب فيها، إلى فضاء الأدب ورحبه، ويدعوا الصاحب والقاضى الفاضل، وهذه الرسائل الباردة، وهذا الأدب الميت الذى لا روح فيه ولا جمال، ولا يصح أن يكون مثالا يحتذى، ودليلا يتبع، ولا يجوز أن يعرض على الطالب إلا على أنه لون من ألوان الكتابة، فيدرسه دراسة المؤرخ له، لا دراسة المتأدب به، ويفتشوا بين العلماء والصوفية والمؤرخين عن ذوى الملكات البيانية، فيجدوا فيهم من لا يعد معه أدب الصاحب وعبد الرحيم البيسانى إلا لعب أطفال.

أذكر على سبيل المثال (ابن الجوزى) فى كتابه صيد الخاطر وموضوعه ظاهر من اسمه، وهو خواطر كانت له فيدونها فى هذا الكتاب، وليس فى هذا الكتاب بلاغة الجاحظ وابن قتيبة، ولا صناعة ابن العميد، ولا فحولة الجرجانى، ولكن فيه شيئاً ليس مثله عند أولئك جميعاً، هو هذه السهولة وهذه السلاسة، وهذا الصدق فى تصوير الخواطر، وهذا الإلمام بالمسائل النفسية والاجتماعية والدينية، وما فيه من وثبات ذهنية عجيبة، وما يقوم به من تحبيب الأدب إلى الطلاب، وهذا الكتاب لو نشر اليوم على أنه لبعض الكتاب العصريين، لقامت له الصحف الأدبية وقعدت، وهللت له وكبرت، وأحلّته الذروة والسنام.

وأذكر (ابن السماك) هذا الرجل الذى تدل الفقرات القليلة التى رويت له على أنه أحد أفراد الدنيا فى بلاغة القول، وصفاء الأسلوب، وعلو التفكير، ولم يفكر مع ذلك أحد فى استقراء أخباره، وتتبع آثاره، و (ابن حزم) فى (طوق الحمامة) و (ابن القيم) فى (روضة المحبين) وابن داود الظاهرى، والبطرى والغزالى، وابن عربى، وأبى حيان، والشافعى، وأم لو أحب واضعو المناهج العناية بآدابهم، لوجدوا شيئاً ينسيهم وينسى الطلاب الصاحب بن عباد وأضرابه.

الكتب المدرسية والكتب الأدبية:

زرت من سنين أحد (الناشرين) فى دمشق، وكان عنده صديق الأستاذ التنوخى، ومعه كتاب (المثنى) لأبى الطيب اللغوى الإمام العَلَم قريع ابن خالويه، وزميله فى بلاط سيف الدولة. وقد وقع على النسخة الوحيدة منه التى ليس لها فى الأرض ثانية، بدليل أنها ليست فى خزانة من الخزائن العامة فى الشرق ولا فى الغرب، وأنه أعلن فى مجلة المجمع العلمى العربى السؤال عنها فلم يكن عند أحد علم بها. والنسخة صحيحة مقابلة بالأصل (أى بنسخة المؤلف) عليها تعليقات بخطوط كبار العلماء كابن الشجرة وغيره، فاشتغل بنسخها وتصحيحها ومعارضتها بكتب اللغة أمداً طويلا ... فرأيته يعرض عليه طبعها بشرط واحد: هو أنه لا يشترط شرطاً ... ولا يريد مالا ولا يبتغى على تعبه أجراً. وعند الناشر (معلم) يعرض عليه كتاباً فى القراءة والمطالعة كل عمله فيه أنه نسخ من كتب الأدب قصصاً وأحاديث كتبها فى أوراق ثم جمعها فخاطها فجعلها بإذن الله كتاب مطالعة للصفوف الثانوية، وهذا المؤلف يأبى إلا أن يكون أربعون فى المائة من النسخ المطبوعة ثمن (تعبه ...)!

وقد مرّت الآن سنوات على هذه المقابلة طبع فيها هذا الناشر مائة كتاب مدرسى، وكتاب المثنى لا يزال مخطوطاً فى دار أبى قيس.

أدباء المجالس:

من الأدباء من كنت أقرأ له فلا أبتغى بلاغة ولا لَسَناً ولا بياناً إلا وجدت عنده فوق ما أبتغى، فأتخيل شخصه، وأتوهمه على أوفى ما يكون عليه المتفوّه اللسن، ثم ألقاه فألقى الرجل الساكت الصموت، الذى لا يكاد يتكلم حتى تكون أنت الذى يسأله ويدفعه إلى الكلام، وإذا تكلم أخفى صوته، ولطّف

حروفه ، حتى لا يسمع منه ولا يفهم عنه ... ومن الأدباء من ألقاه فى مجلس فأجد المحاضر الفياض الذى ينتقل من نكتة إلى نكتة ، ومن قصة إلى أبيات من الشعر ، فيبتدع لها المناسبات ، ويلقيها بصوت قوىّ ، ويتكئ على الحروف ، ويعظّم مخارجها ، فأكبره وأعظمه وأسأله أن يكتب مقالة ، أو ينشئ فصلا ، فيفرّ منه فراراً ، ويسوف ويعتذر ... فاذا أحرج وكتب جاء بشىء هو أشبه (بسفرة المسحّر) فيها من كل طعام لقمة ، ولكن الحلو مع الحامض ، والحار مع البارد ، وكل طعام مع طعام .

وقد تتبعت أحوال هؤلاء ، فوجدت أكثرهم على غير علم ولا اختصاص ، ولا يطالع بجدّ ، ولا يبحث بإمعان ، ولا تدع له (المجالس) وقتاً للدرس ولا بحث ، وإنما يحفظ الرجل منهم طائفة من الأخبار الأدبية والنوادر فيحملها معه أياما يعرضها فى كل مجلس ، ويعيدها بعينها ، حتى تَرِثّ وتبلى وتصبح كالثوب الخَلَق ، فيعمد إلى غيرها فيصنع به مثلما صنع بها ، ولا يدرك الناس الفرق بينه وبين الأديب المبدع الباحث ، فيطلقون على الاثنين اسم الأديب ... فمتى يميّز الناس بين الأديب الحق ، وبين (أديب المجالس) ؟

مجمع الشريعة الاسلامية :

أخبرونى أن عالما فى دمشق يفتى الناس بأن الورق السورى (البنكنوت) لا تجب فيه الزكاة لأنه ليس بذهب ولا فضة ، ويقول بأن هذا هو الحكم فى المذهب الشافعى مع أن النقد فى سورية كله من هذا الورق ، وأن الفضة فقدت خلال الحرب ، وأن التعامل بالذهب ممنوع ، فتكون فتوى هذا العالم الفقيه ... إنما هى فتوى بمنع الزكاة ، وهذه الفتوى على فسادها وضلالها وأنه لا يقول بها مذهب شافعى ولا مالكى ولا يقول بها مسلم عاقل ، وأن هذا الشيخ الفاضل الذى ينكر أن يكون الورق السورى مالاً يقبض فى آخر الشهر راتبه ورقاً سورياً ، ويشترى به خبزه وجبّته ، ويقاتل إن منع عنه ... إنها على هذا كله قد وجدت من يأخذ بها ليتخلص من الزكاة ومن يردّ عليها

وخبرونى أن عالماً آخر أفتى بسقوط فريضة الحج فى هذه الأيام ... ونسب الفتوى إلى مذهب الشافعية ، ورحم الله الشافعى كم ينسب إليه .

وخبرونى بأن المناقشات قائمة بشأن الربا ، وهل تعد المعاملات المصرفية منه أو لا تعدّ ؟ ! وبشأن رؤية الهلال وكيف يثبت دخول الشهر ، وبشأن التوسل ، وكرامات الأولياء ، وبشأن الطلاق ... إلى غير ذلك من المشاكل الفقهية التى تحتاج إلى مرجع يرجع إليه فيها .

وكنت قد سمعت من الأستاذ القاضى العالم الشيخ فرج السنهورى لما زرت مصر أن الملك فؤاداً رحمه الله ، كان عازماً على إنشاء مجمع للشريعة على نحو مجمع اللغة العربية ، يكون من عمله ردّ الشبهات ، وحل المشكلات ، والافتاء ، ووضع مشروعات القوانين ، فلماذا لا يلتمس علماء مصر من جلالة الفاروق حفظه الله أن يأمر بإنشائه فيضم هذه المنقبة إلى مناقبه الكثيرة ، فيرضى بذلك ربه ، ويحقق رغبة أبيه ، ويجدد للمسلمين دينهم ، ويسنّ سنة فى الاصلاح يكون له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، وينقذنا من هذه المناقشات ، وهذه المجادلات ، وهذه الجرأة على الإفتاء ؟

(دمشق) على الطنطاوى

جامعة فاروق الأول

إدارة المستخدمين

تصحيح

المؤهل المطلوب ممن يرشح نفسه لوظيفة أستاذ مادة الإنشاء المعمارى بكلية الهندسة بجامعة فاروق الأول هو « درجة دكتوراه أو ما يعادلها من جامعة معترف بها » لا درجة دكتوراه من جامعة معترف بها .

٥٥٠٩